DOI : 10.12816/0002178

هويّة الطعام و طعام الهويّة

الأستاذ: عماد صولة

المعهد الوطني للتراث- تونس

الملخص:

يتزايد الاهتمام بالممارسات الغذائية و المطبخية من منظور علاقتها بمسألة الهوية الآخذة في الصـــعود، و لا شكّ أنّ الطعام التقليدي بوصفه حاملا لذاكرة جماعية يوفّر مادة جيّدة للـتحليل الاجتماعي الأنثروبولوجي لهذه الإشكالية العامة. و بناء على نموذج طبق الكسكسي تحاول الدراسة تفكيك ثنائية الطعام و الهوية أي أوجه التداخل و تبادل الأدوار بين ما هو طبيعي و ما ثقافي.

Résumé:

Cette étude se veut une tentative de réflexion autour de la dualité alimentation / identité dans la société tunisienne à partir de l'exemple du couscous, plat ancestral chargé de mémoire et de symboles.

En se basant sur une approche anthropologique diachronique, l'analyse de la pratique sociale de ce repas, nous a permis de relever son aspect identitaire complexe : culinaire, historique, rituel et symbolique.

مقدمة:

كثيرا ما قيل إنّ الإنسان يجتاف طاقات و خواص الطعام الذي يأكل، دون أن يحمل هذا القول على محمل الجدّ لارتهانه لمعتقدات و تصوّرات سحرية و دينية تبدو مناهضة لروح العلم الوضعي. غير أنّ الفتح الأنثروبولوجي الذي أباح شتّى نظم الفهم و التأويل، أعاد النظر في العلاقة بين الآكل و المأكول، فألغى المسافة الفاصلة بينهما بناء على أنّ حقيقة الإنسان مشروطة بالغذاء، لكنّ ماهية هذا الأخير محدّدة ثقافيا. من هنا جاءت عمليّة تحويل الأغذية من حالتها الخامّ إلى وضعيّة متحضّرة أو ثقافيّة، و ذلك بإستخدام تقنيات مختلفة مثل التجفيف و التمليح و الطّهو بأنواعه، و هذا التّحويل ماديّ تقني بقدر ما هو رمزيّ، إذ يتمّ نقل المادّة من وضع إلى آخر يمكن تسميته بالقابليّة أو الصلوحيّة الثقافيّة للإستهلاك.

و إذا كان **أيّ** غذاء يجب أن يكون مفكّرا فيه بصفة جيّدة حتّى يكون جيدا للأكل و فق التعبير الشهير للفيلسوف شتراوس، فإنّ الممارسة الغذائية نفسها تتحوّل إلى إحدى المرجعيات الضّابطة للإنسان في بعديه الفردي و الجماعي.

و مع تفجّر مسألة الهويّة منذ بضعة عقود، أخذ الطعام شحنة جديدة حيث صار ينظر إليه بوصفه مكرّسا لتقطيعات اجتماعية و إثنية و ثقافية، ممّا مهّد السبيل لإعادة اكتشاف الذاكرتين المطبخية و الغذائية، و غنيّ عن الشرح و التفصيل دور الذاكرة في تركيب الهويّة و استمرارها.

و الكسكسي، الذي يعتبر أشهر الأطباق في المجتمعات المغاربية ، هو مثال حيّ لهذا المفهوم المركّب للطعام، إذ أنّه يكوّن بنية مطبخية، بتعبير "دوغلاس"، بل و فوق هذا هوية غذائية ليست هي في حقيقة الأمر سوى جزء من هوية المجتمع عينها، لكنّه سرعان ما ينقلب إلى مصدر من مصادر دينامية إعادة إنتاجها و أحد علاماتها، ليتداخل الآكل بالمأكول و تصبح

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com